


ضريح

عمرو بن الجن

info@darak-eg.com 

02 24832669-010 27251915 

51 ب شارع الزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة. 

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.



ضريح عمرو بن الجن

حسن الجندي

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي- تنسيق داخلي:

www.sekoon.com



رقم الإيداع: 2017/25736

الترقيم الدولي: 978-977-6634-04-6

الطبعة الأولى: 2018

ضريح  
عمرو بن الجن

مجموعة قصصية

حسن الجندي





## إهداء:

إلى من دفن في هذا الضريح .. لكم أتمنى أن تكون مجرد خيال..



المستشفى





ذلك المستشفى لا يتذكر ساكنو «حلوان» متى تم بناؤه، هذا إن جاز أن نُطلق عليه لفظة «مستشفى»، فما هو إلا مستوصف صغير يتكون من ثلاثة طوابق صغيرة الحجم، ظهر فجأة في ذلك الشارع الهادئ الصغير منذ سنوات قليلة، حتى تعود السائرون في الشارع على وجوده، كأنه بُني منذ فجر التاريخ.

عليه لافتة صغيرة تحمل اسم «مستشفى الصفا»، وهو اسم منتشر بين المستشفيات ومحال البقالة والأجهزة الكهربائية وورش التصليح. باختصار، اسم «الصفا» يصلح لكل النشاطات، لذلك لا يتذكر أهل «حلوان» هذا الاسم ويطلقون عليه اسم «مستوصف دكتور طارق»، نسبة إلى «طارق» صاحب المستشفى، هذا الطبيب الشاب الذي ظهر فجأة كما ظهر المستشفى، عدا أن نجاحه فاق كل التخييلات. فبرغم أن تخصصه الطبي هو الجراحة العامة إلا أن أهل «حلوان» يعاملونه على أنه يحتوي على جميع أقسام الطب البشري؛ هل تشتكي من الزائدة الدودية؟ دكتور «طارق» جاهز للجراحة في التو واللحظة، هل تعاني مشاكل في النظر؟ اذهب لدكتور «طارق» فإنه خبير العيون الأول بمصر، هل يخالجك شعور بالاكنتاب ورغبة في الانتحار؟ إذن فدكتور «طارق» خير من يسمعك ويرشدك للصواب. الجميع يحبونه ويشكرون في أخلاقه وتدينه

وذكائه، حتى ولو لم ينجح في علاج أحد المرضى، فابتسامته وصوته الهادئ وطمأنته الدائمة تكفي وتفيض ليتقاتل عليه المرضى كل ليلة من كل أنحاء «حلوان» ليدخلوا غرفة الكشف الخاصة بالجراحة العامة في مستشفاه ويتعدوا عن بقية الأطباء الآخرين بتخصصاتهم المختلفة.

فيإذا دخلت المستشفى ستجد أن الطابق الأرضي (الأول) ما هو إلا غرفتين، إحداهما للطوارئ والأخرى للأشعة. الطابق الثاني يتكون من ممر طويل يمتلئ بالغرف الصغيرة التي من المفترض أنها تحتوي على أقسام طبية مختلفة يجلس داخلها أطباء يدخنون أو يقرقزون اللب، منتظرين أن يمنَّ عليهم أحد المرضى بالدخول، بينما يتجمع المرضى بالعشرات أمام غرفة الجراحة العامة ليقابلوا «طارق» الذي يأتي كل يوم بعد الخامسة وينتهي من كشوف المرضى عند منتصف الليل، ليصعد مع بضع ممرضات إلى الطابق الثالث كي يطمئن على المرضى المقيمين بعد العمليات الجراحية.

ألم أقل لك؟ الطابق الثالث مخصص للعمليات الجراحية وإقامة المرضى بعد تلك العمليات، لا تتوقع أن ترى طابقاً يمتلئ بالأطباء والممرضات يتبعنهم لينقذوا حياة مريض جاء منذ لحظات في حادثة مفاجئة، الوضع أبعد ما يكون عن المسلسلات الطبية الأمريكية.

فالطابق يتكون من باب يغلق ليلاً لعزل الطابق عن بقية الطوابق الأخرى، ثم صالة مهملة وحمام صغير ومطبخ متهالك يطل

على ممر. وعلى يمين الممر غرفة واحدة للعمليات وغرفتان لإقامة المرضى. وعلى يسار الممر غرفة واحدة لإقامة الممرضة المناوبة ليلاً. في نهاية الممر نافذة مغلقة دائماً في هذا الوقت من الشتاء القارس تطل على الشارع الهادئ. أما غرفة الجراحة فهي مجهزة لنوعيات محددة من العمليات، فلا تندهب إن سمعت صراخ امرأة تلد، أو رجل عجوز يصرخ في أقاربه بأنه لا يريد إجراء عملية البواسير الآن، أو فتاة تبكي وأمها تطالبها بالتماسك وهي تسير مترنحة للعمليات لتجري جراحة غضروف بسيطة.

لكن لا أعدك أن تشاهد عمليات معقدة في المخ أو الأعصاب أو القلب، فبرغم أن «طارق» يستعين ببعض الأطباء من خارج المستشفى لإجراء بعض الجراحات ويتولى هو الباقي، إلا أن غرفة العمليات غير مجهزة لكل شيء، دعك من أنه لا توجد غرفة إنعاش حقيقية للحالات الخطرة، إلا إذا اعتبرت تلك الغرفة الصغيرة الملحقة بغرفة العمليات - والتي تستخدم لإفاقة المرضى - غرفة إنعاش.

أما غرفتا إقامة المرضى فلا يحتويان إلا على فراشين صغيرين وأنبوبة أكسجين ودولاب وكومود صغير. وبالنسبة لأجهزة القياس الطبية فقد حشرت جميعاً بغرفة المناوبة الليلية للممرضة كي يستعين بها «طارق» عند مروره على المرضى يومياً، وتعيدها الممرضة لغرفتها الصغيرة.

وهناك سر لهذا التصميم الغريب للثلاثة طوابق، فبساطة هذا المستشفى كان في الأصل بيتاً قديماً من ثلاثة طوابق ورثه

«طارق» عن عمه، مع بضعة تفاهات مع البنك وبضعة ضمانات استطاع هذا الأخير أن يحصل على قرض جيد لتحويله لمستشفى بعد التراخيص، وإن كان يجب عليك أن تندش من حصوله على التراخيص بتلك السهولة، فهو لم يفعل الكثير سوى أن هدم بضعة حوائط وبنى أخرى ليحول شقق المنزل إلى تصميمها الحالي، حتى أن مواير الغاز ظلت على حالها تتصل بجميع غرف المستشفى، وجميع طوابقه لم تطلها يد التغيير سوى دهانها باللون الأبيض كبقية المستشفى، والمطابخ والحمامات بقيت على حالها بكل طابق بعد الاستغناء عن بعضها. باختصار، أنت في مكان ما بين المستشفى والشقة، لكن بعد كل هذا ما زال المرضى يتوافدون بأعدادهم الغفيرة غير عابئين بقلّة الموارد أو الشروخ في بعض الحوائط.. المهم هو دكتور «طارق» نفسه وليذهب المستشفى للجحيم.

\*\*\*

الليلة باردة في الطابق الثالث ورذاذ المطر يصطدم كل ثانية بنوافذ الطابق المغلقة ليعطي صوتًا محببًا للبعض ومخيّفًا للقليل من الناس. هذه البرودة متوقعة في شهر يناير من كل عام برغم أنها لا تستمر كثيرًا بسبب جو «حلوان» الدافئ. أما المطر فقد كان غزيرًا بحق في تلك الليلة والفجر يقترب مؤذّنًا بيوم جديد على ذلك المستشفى.

انفتح باب الغرفة الواقعة عند نهاية الممر ليخرج منها «مجدي» المراهق ذو الستة عشر عامًا، يرتدي ثوب المستشفى المفتوح من

الخلف. نظر في الممر الخالي بإضاءته الضعيفة الآتية من مصباح متهالك معلق في السقف. سعل بضغمرات حتى كادت حافظة النقود التي يقبض عليها بيده اليمنى تسقط منه، لكنه تشبث بها بقوة وهو يغلق الباب من خلفه.

شعر ببرودة في رأسه فرفع يده الحرة يمررها على شعره البني، ليدرك أن شعر رأسه واقف كشعر الرسوم الكرتونية عندما تصعق بالكهرباء، برغم أنه في ذلك الحين أقرب بالفعل للشخصيات الكاريكاتيرية، إلا أن «مجدي» يمتلك وجهًا وسيما يحسده عليه أصدقاءه؛ عين زرقاء وملامح دقيقة ببشرة بيضاء كأنها لم تر الشمس قط، لكن جسده القصير قليلاً هو ما جعله يسير بحرج دائماً، يتلفت حوله لا إرادياً، متوقعاً أن يسخر منه المارة، هذا هو السبب الذي تضخم في عقله ليمنعه من ممارسة حياته الطبيعية كبقية أقرانه.

يمارحه بعض زملاء دراسته بنعته بالقصير، وهم لا يعلمون أن تلك هي نقطة ضعفه الوحيدة التي تؤلمه، ولا يمتلك أمامهم سوى الابتسام وإطلاق الضحكات العصبية التي لا معنى لها، كي يداري شعوره الداخلي الحارق.

سار ببطء ليلين قدميه، هذه هي المرة الأولى التي يسير فيها دون مساعدة بعد إجرائه جراحة بسيطة في ظهره لتقويم الفقرات منذ عشرة أيام. طلب منه دكتور «طارق» أول أمس أن يسير قليلاً في الممر بدلاً من الذهاب للحمام بمساعدة والده نهائراً لكنه تكاسل.

الليلة شعر بأهمية السير وحيداً لسبب لا يدريه، أو ربما ليفكر قليلاً في مأساته الثانية بعد قصره.

فتح حافظة نقوده وظهره يستند لحائط الممر، ثم أخرج منها بضع صور شخصية لفتاة في نفس عمره تبتسم وهي تمرر يدها بين خصلات شعرها المصبوغ وتغمز بإحدى عينيها.

انفتح باب غرفة المرضى الثانية وخرج منها رجل عجوز أشيب الشعر يمسك بيده سيجارة غير مشتعلة وهو ينظر حوله، حتى وقعت عينه على «مجدي» الذي ارتبك ووقعت الصور والحافظة من يده على الأرض، فحاول أن يلتقطها لكنه تألم من ظهره.

قطع العجوز بخطوتين المسافة بينه وبين «مجدي» وجثا على الأرض يلتقط الصور والحافظة الجلدية وهو يقول مبتسماً:

- لا تثن ظهرك فتضر بالعملية، ألسنت أنت المريض المقيم في

تلك الغرفة؟

ناوله العجوز الحافظة ونظر بطرف عينيه لغرفة «مجدي» الذي هز رأسه إيجاباً وهو يغلق جلاباب المستشفى من الخلف لا إرادياً. كاد العجوز يناوله الصور إلا أنه تفحصها بعينيه قليلاً حتى قال:

- كأني رأيت تلك الفتاة من قبل! وجهها مألوف.

تنفس «مجدي» بقلق والتصق بالحائط أكثر، فابتسم العجوز

وهو يناوله الصور ويقول:

- لا تخف، لست والدها ولا تمت لي بصلة قرابة، لكنني رأيتها من قبل. اسمي «حسن»، جراحة بواسير.

أخذ منه الصور وتنفس الصعداء وهو يقول:

- هل هناك تخصص طبي لجراحة البواسير؟

- أنا المريض المقيم في الغرفة المجاورة لك، أجريت عملية البواسير منذ ثلاثة أيام.

أنهى عبارته ومد يده التي تحمل السيارة ليصافح «مجدي» الذي قال:

- أنا «مجدي»، قمت بجراحة بسيطة في الفقرات.

هز الاثنان رأسيهما بابتسامة بعدما انتهت المصافحة ثم نظر «مجدي» حوله كأنه يتأمل الممر الذي يقفان فيه. في الواقع لم يتعود هذا الأخير على فتح حوارات مع الغرباء، ناهيك عن عدم قدرته على تكملة أي حوار مع معارفه. حاول أن يلتقط بطرف عينيه تفاصيل هذا العجوز ذي العين البارزة والبيجامة المخططة بالطول والملامح التي تشي بتخطيه الستين بقليل. وضع «حسن» السيارة في فمه ولم يشعلها فقال «مجدي» محرّجًا:

- أعتقد أن التدخين ممنوع في المستشفيات.

ندم بعدما قال عبارته، قائلاً في نفسه إن هذه ليست الطريقة المثلى لفتح حوار. لكن «حسن» ابتسم بطريقة أبوية وقال وهو يبعد السيارة من فمه:

- أنا لا أَدخَن فقد أفلعت منذ شهر تقريبًا، أحمل فقط تلك  
السيجارة ولا أشعلها.

- وما فائدتها؟

- لا أعرف، رأيتها في مسلسل لحسين فهمي فأعجبتني. الحقيقة  
أنني أفلعت عن التدخين بسهولة ولا أشتاق له الآن، لكن حمل  
تلك السيجارة يشعرنى بالتميز أمام الجميع.

سمع «مجدي» صوت شخص يئن بصوت خافت لكنه فشل في  
تحديد اتجاه الصوت. حرك رأسه لا إراديًا في كل الاتجاهات ليلتقط  
الصوت الذي اختفى.

- هل سمعت هذا الصوت؟

قالها «مجدي» منصتًا، لكن «حسن» رد عليه بسرعة كأما ينتظر  
هذا السؤال:

- لا تنسى أننا في مستشفى، هل توقعت سماع أصوات موسيقى؟!

- لكننا قرب الفجر! والصوت يأتي من هذا الطابق.

- بمناسبة الفجر.. هل توضأت لنصلي الفجر؟

قال «حسن» عبارته وهو يبتسم، بينما تسمر «مجدي» للحظة  
قبل أن يقول:

- أنا مسيحي.

ضحك «حسن» بصوت مجلجل وهو يشير لإحدى يدي «مجدي»

ويقول: